النظريات التربوية المعاصرة: (2) - المحاضرة 10 -

النظريات الاجتماعية المعرفية Théories Sociocognitives:

عند التطرق للنظريات الاجتماعية المعرفية، قد نتفاجأ إذا علمنا أن التعليم التعاوني يغضب كثيرا التربويين أمثال كاغان Kagan، ماكلين McLean، وغيرهما بالولايات المتحدة الأمريكية في نهاية القرن العشرين.

وتركز هذه النظريات الاجتماعية الثقافية التفاعلية على العوامل الخارجية للشخص. ومن ثم التحدث كثيرًا عن صيغة التعلم في الموقف أو الوضعية، أو حول البيداغوجيا الشاملة. إن مثل نظريات الصراعات الاجتماعية المعرفية تعزز الاتجاه حول البحث من وراء تنظيم مدرسي يعمل على توفير مواقف تعليمية قائمة على الخبرة، وتسمح للتلاميذ بالعمل في مجموعات، من اكتساب سلوكيات اجتماعية. وهذا ما يتجه إليه كل من دويس Doise، وموغني Mugny، وبيري كليرمونت Perret-Clairmont، وجيليGilly، وغيرهم.

وترى بيرتراند Y. Bertrand من جانبها، أن هذا ليس هو الحال بالنسبة لهذه النظريات بسبب طبيعتها المتسمة بالغموض والنظرية والتي لا تسهل عمليات تطبيقها على أرض الواقع.

وعلى كل فإن هذه النظريات تركز على التفاعلات البيداغوجية، والتعلم عند أصحاب هذه التيارات يعني بناء المعرفة؛ حيث قام العديد من المفكرين والباحثين بصياغة نظريات تربوية تركز بوجه خاص على الاستراتيجيات البيداغوجية المناسبة لتحقيق الاهداف التربوية المعلنة، وهو ما نعثر عليه لدى علماء النفس المعرفي و علماء الاجتماع المعرفي و منظري تكنولوجيا التربية، حيث انصب اهتمام هؤلاء وأولائك بعمليات التعلم والتعليم، فانشغلوا بخصائص المتعلم وبنيات التعلم وعمليات حدوث المعرفة، وتكنولوجيا المعلومة والاتصال التي يمكن اللجوء إليها في تصميم البيئة التعليمية.

النظريات الاجتماعية Théories Sociales:

أما بالنسبة للنظريات الاجتماعية في التعليم، فهي مبنية على رؤية واسعة للتحولات التي سيتم إدخالها على المجتمع (الصناعي). لكننا نشهد هنا تحولًا في الأنظمة المرجعية: المراجع الماركسية أو الإدارة الذاتية تفسح المجال للقيم البيئية. من خلال الوسائل التربوية المؤسسية أو التوعوية، لا تزال هناك بالتأكيد بعض الأساليب والطرق المثيرة للاهتمام كالتي جاء بها غراند ميزون Grand'Mai son، وغيره ، لكننا نشعر أن موضوعات مثل المجتمع البيئي أو التمكن من المستقبل واعدة أكثر، وتضفي المزيد من اللمسات النهائية على الأفكار حول التعليم كما في آراء دي روزناي de Rosnay، وجانتش Jantsch، وتوفلر Toffler، وغيرهم. وهي بذلك تتجه أكثر فأكثر نحو بيداغوجيا اكتساب الوعي البيئي والاجتماعي.

فكل النظريات الاجتماعية تركز على البيئة التعليمية، وهي تمثل كذلك نظرة اجتماعية للتحولات الممكنة على التربية، وتهتم بإعادة بناء المجتمع؛ حيث يشكل هذا التيار مجموع النظريات التي تتناول موضوع العلاقة الموجودة بين المدرسة (أهدافها المعلنة و أهدافها الحقيقية، ثقافتها المادية و المعنوية، و نمط العلاقات الاجتماعية ضمنها)، والمجتمع بفئاته المختلفة، على ضوء مشكلاته الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية.

فالإشكالية الأساسية المطروحة ضمن هذا التيار تتمحور حول وظيفة المدرسة، هل هي أداة للتغيير والتطوير وتفعيل الحراك الاجتماعي بين الطبقات الاجتماعية المختلفة؟ أم هي أداة لإعادة إنتاج المجتمع بصراعاته وطبقاته المختلفة. ومن الأفكار المتطرفة في هذا التيار الاعتقاد بضرورة إلغاء التربية النظامية تماما لكي يتحقق الهدف الجوهري للتربية، والمتمثل في تحرير الفرد من التدجين، ومن قيود المدرسة بمحتواياتها المحددة مسبقا، وطقوسها كالتوقيت، وتصنيف فئات المتمدرسين، المفروضة على الفرد بغض النظر عن حاجياته الحقيقية. وهو يرى أن المدرسة هي المجتمع بدل أن تكون مؤسسة من مؤسسات المجتمع. ومنه تغيير علاقات القوة في المجتمع كأن يقرر التلاميذ نوعية، وكيفية تكوينهم، أو من خلال

تحسين بيئة التعلم أو تسهيل العلاقات كحل المشكلات من خلال تسهيل التواصل بين المجموعة من خلال فرض دلالات اعتبارية (قوانين).

النظريات الأكاديمية Théories Académiques

على عكس الاتجاه السابق تدعو النظريات الأكاديمية (تشمل كل النظريات التي تركز على محتويات التربية) بقوة أكثر فأكثر للعودة إلى القيم الكلاسيكية التقليدية من أجل تنوير المتعلمين الذين هم أقل منا تعلما بشكل أو بآخر.

ويرى البعض من أصحاب الأفكار الأكثر تقليدية من أمثال دوميناك Domenach، وأدلر Adler، وغيرهما إلى الماضي كأساس مثبت لتنظيم المحتوى. فهذه النظريات التربوية محافظة بشكل واضح؛ حيث يطالب أصحابها بالرجوع إلى قيم و مقررات مدرسية قديمة أو نحو التكوين الكلاسيكي. بينما يدافع البعض الأخر من أمثال ميلر Miller، وغيره عن تكوين عصامي عام (العودة إلى الأساسيات، عبر التخصصات، والتكوين القاعدي)، ولا يزال البعض الآخر يتراجع إلى مدرسة امتياز يُفترض أن "تعامل" الجمهورر والدمقرطة؛ حيث يوجد من بين المنظرين للنظريات الأكاديمية ممن يقترح إصلاحا في المنظومة التربوية بحيث تتطابق مع النظام الاجتماعي، والاقتصادي القائم في المجتمعات الصناعية، وتكييف المدرسة معه، حيث على المدرسة إنتاج عمال مؤهلين و"فعالين" في مجتمع قائم على الإقتصاد الحر في عصر العولمة، وربما الاتجاه نحو نظام الأل لأم دي على مستوى الجامعات، ومثالا حيا عن هذه النظريات التي في مجملها تجمع على أن التربية النظامية كفيلة بإنتاج الإنسان الذي يريده المجتمع إن توفرت شروط الجودة في المضامين.

التيار التربوي الحديث

بدأت ملامح التيار التربوي الحديث تتشكل في سياق واقع الحداثة (الثورة التكنولوجية في ميدان الاتصال و رقمنة المعلومة و العولمة الاقتصادية و ثقافة العوالم الافتراضية و شبكات التواصل الاجتماعي...). هذا الواقع الحديث أفرز نظريات تربوية حديثة، اشتملت على مزيج انتقائي من أهم التيارات التربوية المذكورة أعلاه في إطار النظرية البنائية بشقيها،

المعرفي و الثقافي الاجتماعي، حيث برزت من بين النظريات المتمحورة حول المتعلم (سلوكية، معرفية، بنائية) النظرية البنائية المعرفية. أما النظريات التي تمحورت حول البيئة التعليمية سواء كانت اجتماعية تفاعلية أو فيزيقية (حواسيب و وسائط متعددة) فبرزت أراء علماء البنائية الثقافية

يشتق الاتجاه الأول أفكاره من نظرية بياجيه الذي يرى أن التعلم يحدث عندما يختلف الواقع مع توقعات المتعلم مما يفقد الفرد حالة الاتزان مشكلا بذلك دافعا لتصحيح السلوك و المفاهيم (تعلم).

أما الاتجاه الثاني فيؤكد على السياق الاجتماعي و الثقافي للمعرفة كما ينظر Vygotsky و غيره ممن يعتقدون أن بيئات التعلم تلعب دورا أساسيا في حدوث المعرفة و ذلك عندما تيشارك الأفراد في محاولات تفاعلية لأيجاد حلول لمشاكل تواجههم (دراسات إجرائية و بحوث الفعل بالمشاركة. (...)